ما بال أقوام يسارعون في علمانية الغرب الكافر ودولته الوطنية ويتنكبون خلافة الإسلام؟!

ما بال أقوام باتت معهم أحكام هذا الدين العظيم بل وقطعياته وأبجديات مفاهيمه ومعلوم أحكامه بالضرورة؛ الحكم بما أنزل الله في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة، موضع أخذ ورد ومساومة ومقايضة وظروف دولية تسمح أو لا تسمح، وغرب كافر مستعمر يأذن أو لا يأذن، وضغط واقع مانع أو مجيز، وتضارب بين منفعة ومضرة، وصار دين العزيز العليم عند عبده الحقير الجاهل موضع مفاوضة ومساومة؟!

ما بال أقوام انحنت جباههم لله وما انحنت معها عقولهم وقلوبهم لحكم الله وتحكيم شرعه وشريعته، ما بال أقوام كبروا الله قولا واستكبروا أمريكا والغرب الكافر فعلا، فاستنكفوا عن تحكيم شرع الله ودانوا للغرب الكافر وشرائعه ونظامه الدولي، استخفوا بخوف من وجب خوفه حقا فهو القاهر فوق عباده وخوفهم منه عبادة وطاعة ونجاة ومفازة، واستعظموا وخافوا الغرب الكافر الذي لا يملك نفعا ولا ضرا وخوفهم منه ذلة ومذلة وهوان؟!

ما بال أقوام متى ذكرت خلافة الإسلام وتحكيم شرع الديان استشكلوها وأعضلوها وكأنهم بشريعة الإسلام معضلة وأزمة، وليست الحل الشافي لهذه الأزمة الماحقة التي تحياها أمة الإسلام بل والبشرية جمعاء؟! ما بال أقوام سمعوا وما سمعوا وما فقهوا قول الجليل العليم الخبير لنبيه الهادي ﷺ: ﴿**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾؟!

ما بال أقوام ما نفعت فيهم هذه المائة من السنين الشداد العجاف بضياع خلافة إسلامنا ونقض حياتنا الإسلامية حياة عزنا ومجدنا ونقض مجتمعنا ودارنا، وضمور كيان أمتنا ووحدتنا وطمس شمس حضارتنا وعسف الغرب الكافر المستعمر بشرع ربنا وتعنتنا بكفر فلسفته ومنظومته العلمانية، وطمّنا في وحل مستنقع حضارته وتوسيد أمرنا لشرار الخلق اللئام عملائه؟! أوَما نفعت كل المائة المزحومة بالمآسي والمصائب وكفر العلمانية الأسود وحصادها المفجع لتعلنوها كفرا صريحا بالغرب ومنظومته ورويبضاته، وتكفرون بحدوده وسدوده ودولته الوطنية العلمانية صنيعته التي سامتنا أهوالا وعذابات لمائة خلت؟! أما كفتكم مآسي علمانية الغرب الكافر ودولته الوطنية التي فاضت علينا مصائبها وعذاباتها، وكفى بعذابات وأهوال الشام واعظا؟!

أما آن وحان لكم أن تقدروا حقيقة التبعات الخطيرة المدمرة لحياتنا ومجتمعنا ودِيننا ودنيانا وآخرتنا لمائة سنة خلت من ضياع خلافتنا وغياب إسلامنا عن دفة الحكم وقيادة هذا العالم المنكوب بجاهلية الغرب ووحشية وهمجية استعماره، تجاه أنفسكم وتجاه البشرية جمعاء فهي مسؤوليتكم، فكيف يرجى الخلاص من هذا التيه المبير والمعيشة الضنكى والشقاء المهلك بدون خلافة الإسلام التي تضع شرع الديان موضع التنفيذ والتطبيق فتحيوا بذلك حقيق وعد ربكم ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾؟

أيقنوا فليس لها من دون الله كاشفة، أما إن استسلمتم لوساوس شياطين الغرب وأرهبتكم دول الغرب وخنعتم وخضعتم، فلا تكابروا، هو دين الله فدعوا الحمل لأهله وابرأوا وتوبوا إلى خالقكم ولا تترخصوا في أعظم وأكبر معاصيه في تعطيل شرعه بين عباده وعلى أرضه، وأشد منها وأكبر معصية وظلما وجرما وهي في تحكيم شرائع وأنظمة الغرب الكافر في أرض الإسلام وعلى عباد الله المسلمين. فيا ويل من كان هذا الدرب دربه والنهج نهجه سار فيه أو عليه أو زَيَّنَهُ للناس!

ما بال أقوام لُدِغوا من جحر أمريكا ودول الغرب الاستعمارية الكافرة سبعين مرة ثم لا يتوبون ولا هم يذّكرون؟! أمريكا هي ألد أعداء الإسلام وأمته فهي شيطان عصركم، فكيف تناقش وتحاور وتفاوض في قضايا المسلمين بل وتشترط وتملي، ثم ها أنتم تجادلون وتحاجون بمكر أمريكا رهبة وخشية؟! أوَما علمتم أنكم بصنيعكم هذا وقعتم في شنيع الاستهانة بمكر القوي المتين بل وأمنتم مكره وهو القائل جل في علاه: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾؟

لمن استرهبتهم أمريكا وظنوا بالله الظنون وبدا لهم انتفاء استطاعة إقامة دين الله في أرضه لحكم عباده بشرعه، وجادلوا ونازعوا وخاصموا في عدم إمكانية ذلك لظرف قهر أصحاب هذا الطرح واستنزفهم؛

لهؤلاء أقل وأضعف الإيمان إن خُيِّرَ المرء بين العجز والفجور أن يعلن عجزه ويفسح الطريق لأصحاب المشروع المؤمنين الموقنين بإقامة خلافة الإسلام الراشدة على منهاج النبوة لتحكيم شرع الله في أرضه وعلى عباده. ثم ليعلم هؤلاء أن ليس لعاجز عن الحكم بشرع الله ولاية أو حكم، فمن شرط الحاكم شرعا أن يكون قادرا من أهل الكفاية على القيام بأعباء الحكم بشرع الله، فذلك مقتضى العقد الشرعي بين الراعي والرعية؛ أن يحكمهم بشرع الله، فالعاجز عن القيام بشؤون الرعية بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ في حكم المعدوم، فكيف بمن استرهبته أمريكا ودان وخضع لشروطها وإملاءاتها ومنظومة كفرها ونظامها الدولي وأنظمتها؟! أخرج مسلم من طريق أبي ذر رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**».

وليكن معلوما لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن شرعية النظام هي في تحقيق سيادة الشرع والحكم بشريعة الله وليس في اقتحام قصر الطاغية والجلوس على عرشه، بل شرعية النظام والحاكم لا تنفك عن سيادة الشرع والحكم بشريعة الله، بحيث تكون العقيدة الإسلامية هي أساس الدولة بحيث لا يتأتى وجود شيء في كيانها أو جهازها أو محاسبتها أو كل ما يتعلق بها إلا بجعل العقيدة الإسلامية أساسه. فالعقيدة الإسلامية أساس الدستور والقوانين الشرعية ولا يسمح البتة بوجود شيء مما له علاقة بأي منهما إلا إذا كان منبثقا عن العقيدة الإسلامية، فدستور الدولة وقوانينها أحكام شرعية مستنبطة من أدلة الوحي. قال جل وعلا: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾. ومن حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» متفق عليه.

ثم ما بال أقوام كنا نعدهم من الأغيار على هذا الدين حتى زعموها حكمة سياسية ووعيا سياسيا أن نصبر ونمهل الساعين في إعادة تدوير المنظومة العلمانية ونظامها العلماني الكافر، حتى نستبين ونستيقن وتكشف لنا الأيام عن صدق أو خبث النوايا وحسن أو قبيح الصنيع بنا؟! يا قومنا، الحكمة والوعي السياسي هي في أن نسير مع الحق بحسب عقيدة الإسلام التي أخذناها عن جزم ويقين واعتقدناها، وأن ننظر إلى الحوادث والوقائع للحكم عليها من زاوية عقيدتنا الإسلامية، والوعي السياسي يقتضي نضالا عقائديا ضد التضليل السياسي الذي يمارسه الغرب الكافر المستعمر وأذنابه لحرف بوصلة الثورة والتغيير عبر محاولته إعادة تدوير النظام العلماني الذي ثار عليه الناس بإبدال الطاغية العميل بعميل في طور الطغيان، ونضالا عقائديا ضد اختصار الغايات السامية والأهداف العالية بغايات جزئية وأهداف آنية (كالمحاولة الماكرة القائمة اليوم في اختصار الغاية السامية لثورة الشام المباركة من إقامة حكم الإسلام وخلافته الراشدة على منهاج النبوة إلى فرار وإسقاط لطاغية الشام) وهو عين المكر والخديعة السامة القاتلة، فالواعي سياسيا يقيس الأمور بمقاييس عقيدته لا أن ينتظر نتائجها

ليقرر صحتها من بطلانها! فالتجريب والاختبار وانتظار النتائج هي مقاييس مَن لا مقاييس شرعية له، ومع هكذا حال تصبح الواقعية ومقاييس الواقع العلماني المهيمن هي مقياس النجاح والفشل ونكون حينها رجعنا القهقرى وعدنا للقفص العلماني البغيض!

يا قومنا، المسألة ليست كما تتوهمون فهي ليست مسألة حاكم شرعي يحكمنا بشرع الله، وتصبح حينها المسألة مسألة نظر في إحسان أو إساءة التطبيق، وإمهاله لمعرفة إحسانه من إساءة تطبيقه لأحكام الشرع من نافلة القول. لكن الأمر خلاف ما تتصورون وتظنون، فالمسألة أجل وأعظم؛ فهي متعلقة بأسس الحكم وفلسفة الحكم ومنظومة الحكم والمرجعية الفكرية والمصادر التشريعية والدستور والقوانين والأنظمة والأجهزة وبالتالي نحن أمام تحديد شرعية النظام من عدم شرعيته.

يا قومنا، إنما الإيمان موقف حق زمن الشدائد والفتن، فالشدائد كاشفات لعاريات الأنفس ويقين أو ضعف إيمانها. فالفتنة كل الفتنة أن يفتن المرء في دينه، فالفتنة كل الفتنة أن تجد سبعين عذرا لمن ترخص في تعطيل شرع الله وحكم المسلمين بشرائع أعداء الله، زاعما زعما باطلا منكرا أنه في كل هذا يبغي اتقاء فتنة كيد الأعداء ومكرهم والرأي هو في مسايرتهم والاستجابة لشروطهم وإملاءاتهم، ﴿**أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾!

ثم أكبر منها عجبا تحار معه الألباب أن لا يجد المسلم حجة شرعية ولا وجه حق فيمن يدعونه لتحكيم شرع الله وإقامة خلافة الإسلام لحكم المسلمين بشرع ربهم، بل جدال وحجاج ونزاع وخصام، بل وظلم وسجن وتبرير لهكذا ظلم، بل ويزيد ويزعم أن المتاح العلماني اليوم ودولته الوطنية هو كل ما نستطيع، بل ويأفك في تبرير وتزيين هكذا وضع والثناء على السائرين في متاهاته!

يا قومنا، هما مشروعان لا ثالث لهما؛ مشروع رباني ومشروع شيطاني، فاحسموا أمركم قبل أن تزل قدم بعد ثبوتها فتذوقَ السوء لصدها عن سبيل الله، هما مشروعان؛ مشروع إسلام رب العالمين ومشروع كفر الغرب المستعمر شيطان عصركم، إما خلافة راشدة على منهاج النبوة أو دولة وطنية وظيفية للاستعمار الغربي الكافر، مشروع يهدي إلى الجنة ومشروع يهدي إلى النار، ولعمرك ما أبقى الحكيم العليم لمتهوك من عذر، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً**﴾. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا يهوديا في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهَّان ليحكم بينهما، ورسول الله ﷺ بين أظهُرهم!

ليس مع الإيمان إلا الكفر بطاغوت العلمانية ودولتها الوطنية ومنظومتها وأنظمتها الوضعية، ثم السعي لتحكيم شرع الله طاعة له وتعبدا بإقامة دولته، ثم الاستقامة على طريق الحق فإن مت دون الغاية وكان الأجل دون بيعة إمامك وخليفتك ودون حياتك الإسلامية في ظل الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ما ضرك شيء، وحسبك أنك استقمت كما أُمرت على صراط الإسلام المستقيم طاعة لمولاك وطمعا في رحمته ورضاه.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

مُناجي محمد